مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الثاني والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبِّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير متابعة هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية قصة قارون مثالاً أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر	١ - ١٨
الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي	١٩ - ٤٦
الملامح الصوتية عند سيد قطب دراسة تحليلية أ.م.د.فيصل مرعي الطائي	٤٧ - ٦٨
صورة الممدوح في شعر مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) أ.د.غانم سعيد حسن الطائي و م.د. علي غانم سعدالله	٦٩ - ٨٤
الفروق الدلالية بين المتفق خطاً والمختلف لفظاً ومعنىً من المقصور والممدود والمقصور والمهموز أ.م.د. أحمد ابراهيم خضر و م.د.إيناس وليد أسعد	٨٥ - ١٠٤
بعض الظواهر الصوتية وأثرها في تحديد أحرف الجذور اللغوية المعتلة مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا أ.م.د. عزّة عدنان أحمد عزّت و الباحثة غيداء عادل عبد القادر	١٠٥ - ١٣٠
سيرة محمد بن مصطفى التِّيره وي وكتابه : (روح الشروح) مع تحقيق قطعة من مقدِّمته أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	١٣١ - ١٥٦
المساءلة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة م.د. عبدالله بيرم يونس	١٥٧ - ١٨٢
مما صحّحه القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) من مسائل دلالية في كتابه (درة الغواص في اوهام الخواص) م.د.أ حمد مرعي حسن العباس	١٨٣-٢٠٨
الفُروق التعبيرية في الحوار بين الرُسُل وأقوامِهِم في القرآن الكريم - سورة الأعراف أنموذجاً – م.د. أحمد عامر سلطان الدليمي	٢٠٩-٢٣٢
أثر الصوت اللغوي في التواصل دراسة في يائية مالك بن الريب م.د.إدريس سليمان مصطفى و م.د. مسعود سليمان مصطفى	٢٣٣-٢٥٨
البعد الدلالي للبناء للمعلوم والبناء للمجهول في القراءات القرآنية - سورة الأَنعام نموذجًا م.م. هلات حسن جرجيس	٢٥٩-٢٩٨
الاصلاحات الاقتصادية في دولة المغول الايلخانية في بلاد ايران والعراق على عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) م.د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون	٢٩٩-٣٢٠

سرايا وبعوث الرسول][rفي كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي المتوفى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م دراسة في مصادره م.د. هناء سالم ضايع	٣٢١ - ٣٤٠
المرابطون والموحدون دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي م.د سالمة محمود محمد عبد القادر	٣٤١ - ٣٧٦
عطاء النساء في عصر الراشدين – قراءة تاريخية تحليلية- م.م. محمد نجمان ياسين عباس	٣٧٧ - ٣٩٤
ثقافة حقوق الإنسان في ظل الظروف العربية الراهنة الواقع والطموح ا.م.د حمدان رمضان محمد و م.د محمد سعيد حسين	٣٩٥- ٤٣٨
الصناعات الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة دراسة اجتماعية تحليلية م.د.هاني احمد العبادي	٤٣٩ – 458
الانعكاسات الاقتصادية للترفيه على الأسرة الموصلية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. أميرة وحيد خطاب	٤٥٩ – ٤٨٦
الرسائل الجامعية الممنوحة في الجامعات العراقية في مجال المعلومات والمكتبات: دراسة ببليومترية ١٩٨٨-٢٠١٢ أ.م.سعد احمد إسماعيل و م.م.حسام عبدالكريم عبدالله البدراني	٤٨٧ – ٥١٢
متاجر الكتب العربية على الانترنت نشأتها، محتوياتها، خدماتها، امن معلوماتها أ.م. سمية يونس سعيد الخفاف و م.باحث عبد القادر احمد علي	٥١٣ – ٥٥٤
تجربة الفهرس العربي الموحد في المكتبة المركزية لجامعة الموصل م. رفل نزار الخيرو و م.م. رواء صلاح الدين زيادة	٥٥٥ – ٥٨٤
تحليل الاستشهادات المرجعية لرسائل الماجستير لقسم الإحصاء في جامعة الموصل للعام (١٩٨٨-٢٠٠٩) م. وسن سامي سعدالله	٥٨٥ – ٦١٦
الحوسبة السحابية ومدى أهميتها للمكتبات ومراكز المعلومات م.م. نور فارس العمري و م.م. عمر توفيق عبد القادر	٦١٧ – ٦٤٨
المظلات الملكية الآشورية في ضوء المشاهد النحتية م.م. ليال خليل إسماعيل	٦٤٩ – ٦٦٦
مفهوم البيئة في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٦٦٧ – ٦٩٤

الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني

أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/٩/١٤ تأريخ القبول: ٢٠١٧/١٠/١٦

مقدمـــة:

في خضم فوضى العالم الإسلامي وما يعانيه من أزمات فكرية ظهرت الحداثة متحدية المخرجات الفكرية العربية التي تأسست عليها ، وذلك من خلال طروحات فكرية وفلسفية وكتابات ثقافية واجهت الفكر الإسلامي ومفكريه ، لتؤسس منهاجاً حياتياً جديداً للأمة الإسلامية. وفي ذات الوقت ظهر مفكرون إسلاميون مجددون لتأسيس منهج إسلامي يسعى إلى إخراج العقل الإسلامي من محنته وأزمته الفكرية والحضارية وصراعه النفسي مع المؤسس العقدي في العقل العربي والوافد الغربي في تقدم حضاري غير معهود.

لقد تجلت الحداثة في منهج هؤلاء المفكرين المجددين في كتابات تعد مدخلاً حقيقياً واستجابة واعية لما يتطلبه الواقع الإسلامي على وجه الخصوص ، وواقع الحياة الإنسانية بوجه عام ، إذ تمثل هذا الوعي بكل خواصه الشمولية بالتعبير عن المرحلة التاريخية التي يعيشها الإسلام والأمة الإسلامية في مواجهة التحديات الكبيرة التي يشكلها خطر الفكر الغربي في بعض جوانبه من هجمات وصراعات ، في المجال العقائدي فكرياً ، وحياتياً ، لا على الأمة الإسلامية ، وحسب ، وإنما على الحياة الإنسانية برمتها .

إن الحداثة من منطلق التفكير الغربي منجز حضاري كبير على الصعيد النظري والعملي ، اكتسب أهميته وخصوصيته من خلال التركيب الجمعي لصيرورة الحياة الغربية ومجتمعاتها ، إذ إن الحداثة في المفهوم الغربي تعني التغيير والتجديد والانقلاب على الذات ، فضلاً عن الأفكار التي تقول بوهم الإله وسقوطه أو انتهاء سلطته ، وإعطاء الأولوية في حركة الوجود ومتغيراته في الطبيعة وما حولها للإنسان ، فهو الغاية والوسيلة

* معهد إعداد المعلمين/ نينوى.

، وفي هذا يعني إنكاراً لوجود الخالق وحتمية قدرته وسلطته اللا محدودة على الكون ، في الوقت الذي يكون " الله هو الحقيقة الفكرية الكبرى الأولى التي يستنتجها العقل من الطبيعة ويرتاح بالوصول إليها من ألم الفراغ والشك والجحود والإنكار "(١) . وهذا كله ينبثق من خلال فلسفات واتجاهات ومذاهب مختلف ، فهناك منطلقات حداثية " تؤكد على فوضى الكون متمثلة بلا معقوليته وعبثيته ، ومنهم من يؤكد على فوضى العالم متمثلة بعزلة الإنسان عن الإنسان ، وغربته ، وبفساد العلاقات الاجتماعية ، وضياع القيم ، والآلية التي تسحق الكيان الإنساني سحقاً لا يرحم ، وبالرعب الذري والدمار الذي يتهدده في كل حين . وآخرون يؤكدون على فوضى الإنسان نفسه ، الإنسان من الداخل : بثنائيته وتشتته وتمزقه ، بقلقه وعذابه وغضبه ، بنزعاته الهابطة وحسه الثقيل .. ثم هناك – أخيراً من يؤكد على فوضى العلاقة بين الإنسان والله ، تلك التي تتبلور بمواقفهم من القدر والحرية (٢).

إنّ مراجعة حقيقية لأسباب هذه الفوضى التي تعم اليوم العالم كله ، وتقوده من خراب إلى خراب ، توصلنا إلى جواب واحد لا ثاني له ، ويتلخص في موقف الإنسان مهما كان دينه واتجاهه وفلسفته من مسألة التوحيد . إذ يقول في كتابه العزيز **﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** (٣).

لقد فهم المفكرون المجددون واقع الأمة الإسلامية وما آلت إليه من تخلف حضاري ، فانطلقوا وبوعي التجديد في إصلاح العقل الإسلامي ، معتبرين الإصلاح الفكري قضية حياتية ، حداثية ، تنقذ فكر الأمة الإسلامية ووعيها من هوة السقوط والانحلال ، فوجهوا جهودهم للدعوة الإسلامية من جهة ، ولإصلاح المنهج العقائدي للأمة الإسلامية ، واضعين لها مشاريع تحديد المعرفة بكل جوانبها لاستكمال نهوضها الجديد .

إنّ انطلاق المفكرين الإسلاميين في تبنيهم مشروع الحداثة الإسلامية جاء بعد مواكبة حقيقية لكل مجريات ما يحدث أمام العقل الإسلامي ، وخشية تغريب هذا العقل

(١) خلاف ، عبدالمنعم محمد ، المادية الإسلامية وأبعادها ، دار المعارف ، مصر ، ٥٦ .
(٢) خليل ، عمادالدين ، فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤ .
(٣) سورة الرعد – ١٩.

سعوا إلى إصلاح العمل الفكري الإسلامي بما يضمن له العودة إلى مساراته الصحيحة ، وفق منظور حداثي حضاري جديد لا يُرمى بعده المسلمون ، ولا يتهمون بالتخلف ، فتوجهوا في خطابهم التوحيدي إلى المجتمع الإسلامي بوصفه بنية حركية يملؤها الإيمان بالله تعالى ، وإلى مسارات التربية والتعليم ، وحركة التاريخ بوعي متجدد لا يركن إلى الفراغ الذي شدخ تاريخ هذه الأمة في القرون التي وقعت تحت هيمنة الاستعمار وغزوه الفكري المبرمج الذي أبعدها عن الركب الحضاري العالمي .

بيد أنّ الاتجاهات التي اتبعها المجددون وقعت في إشكاليات القراءة الحداثية الإسلامية ، مما ألحق في معظمها أذى ووبالاً على الثوابت الشرعية الإسلامية ، وعلى المسارات الصحيحة للعقل الإسلامي .وقد وقف الباحث عند ظواهرها وإشكالياتها وتحليلها من خلال الوعي بالمقدس الإسلامي وأهميته.

ومن هذا المفهوم .. فقد توزع البحث على مقدمة وثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : الحداثة بين سلطة الوعي وتجليات سلطة المقدس .

المبحث الثاني : الحداثة والإسلام (القراءة الحداثية بين صراع السلطات والنظام البديل).

المبحث الثالث : الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني .

المبحث الأول

الحداثة بين سلطة الوعي

وتجليات سلطة المقدس

أولاً – مصطلح الحداثة بين الأزمة والانبثاق :

يمكن القول بأنّ الإشكالية الحقيقية في تحديد مفهوم مصطلح الحداثة عربياً وإسلامياً ، تكمن في التغييرات السريعة التي تطرأ على نظام الحياة اليومية للإنسان المعاصر والتغيرات الوظيفية للحداثة نفسها ، وهذا ما يجعل إمكانية تحديد مفهوم للحداثة من الصعوبات الكبيرة في مجتمعات تقوم على المؤسسة العقائدية (دينياً وفكرياً) ، لذا بات من المؤكد أنّ دعوة الحداثة وقبولها في العالمين العربي والإسلامي بوجه عام ومنذ مراحلها الأولى شكلت (أزمة) حقيقية في معظم مجالات انبثاقاتها ، ودعوات التهافت عليها ، إذ إنّ الظروف التي دعت إلى تبني الحداثة وصيحاتها كانت سياسية واقتصادية

وفكرية ودينية غير اعتيادية أو طبيعية ، لذا يمكن عدّ هذه الظروف بالأسباب الحقيقية التي دعت إلى انطلاق الحداثة وبداياتها الأولى .

إن المجتمعات الغربية التي انطلقت منها الحداثة ، كانت تعيش حالات متناقضة وصعبة للغاية أثقلت كاهلها آنذاك ، إذ تمثلت في بعضها بسيطرة الكنيسة والإقطاع ، وهذا ما شكل – بحد ذاته – صراعاً طبقياً بين السيد والمسود في أدنى مستوياته ، في حين أن المجتمعات العربية والإسلامية كانت ترزح لعقود طويلة تحت السيطرة الاستعمارية ، هذا من جانب ، أما من حيث الجوانب الأخر ى ، وأهمها العقائدية ، والمتمثلة بالجانب الديني ، فإن ارتباطها بالدين / الجامع لا يمكن مقارنته مع ارتباط المسيحيين بالكنيسة ، إذ إن السلطة المتحكمة بالعقل الإسلامي هي سلطة الكتاب (القرآن الكريم) والسنة ، والعلاقة العقدية بين المسلم وخالقه ، وهي علاقة مباشرة لا يوجد بينهما وسيط ، وهذا ما لا يوجد في الديانات الأخرى .

من المؤكد أن الحداثة كمفهوم فكري وفلسفي لم يعرف إلا في القرون المتأخرة ، ولكن هذا لا يعني أن الإنسان وفق صيرورة العقل لم يدرك حقيقة الحداثة ، وكيفية السعي نحو تحديث كل ما هو عليه ، وإلا ما توصل إلى ما هو عليه الآن في مجالات العلمي والتقني وحتى الثقافي . فالحداثة وعي متدرج في الفكر والسبل المؤدية إليها . ومن هنا ، فإنها في مفاهيمها الحالية هي ثورة فكرية قامت منذ بداياتها على أسس تفعيل الحياة الإنسانية من خلال وعي موضوعي ، مبرمج ، يقوم على أسس فكرية وفلسفية وعلمية بعيداً عن الذاتية البحتة.

إنّ كيفية تفعيل الحداثة ووسائلها لا يتأتى إلا من خلال تفعيل حركة الوعي الخلاق للتجربة الحياتية اليومية ، التي ترمي إلى تخليص الإنسان المعاصر من خندق التخلف والجمود ، والسعي لردم كل المفاهيم التي من شأنها إعاقة تقدم الإنسان وحركته .

ومن هنا ، فإن تنوير الحداثة هو التعبير التجريبي لفلسفة(حياتية) غايتها التأسيس لتجربة جديدة [1]، تقوم على التحرر من القيود التي فرضتها ظروف متعددة

(٤) ينظر : المدخل الفلسفي للحداثة، ابن داود عبدالنور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ٦٥.

(سياسية وفكرية وثقافية واجتماعية واقتصادية) لا من قيود الماضي بوصفه الثابت والركون إليه ، ولكن من منطلق أهمية التغيير والتجدد في عملية بناء الإنسان .

لقد تجلى الوعي الحداثي منذ أنْ بدأ الإنسان يبحث عن وسائل تطوره وتقدمه بكل خواصه الشمولية بالتعبير عن المرحلة التاريخية التي يعيشها، وكذا هو الحال بالنسبة للوعي الحداثي على المستويين العربي والإسلامي . ولكن المشكلة – اليوم – تكمن في ظروف المرحلة التي يعيشها الإسلام والأمة الإسلامية في مواجهة التحديات الكبيرة التي يشكلها خطر الفكر الحداثي الغربي ، والذي يبدو في بعض جوانبه هجوماً وصراعاً مقصوداً ، في المجال العقائدي فكرياً ، وحياتياً ، لا على الأمة الإسلامية أو العربية ، وحسب ، وإنما على الحياة الإنسانية برمتها .

إنّ الحداثة من منطلق التفكير الغربي منجز حضاري كبير على الصعيد النظري والعملي ، اكتسب أهميته وخصوصيته من خلال التركيب الجمعي لصيرورة الحياة الغربية ومجتمعاتها ، إذ إن الحداثة تعني التغيير والتجديد والانقلاب على الذات ، فضلاً عن الأفكار التي تقول بوهم الإله وسقوطه أو انتهاء سلطته ، وإعطاء الأولوية في حركة الوجود ومتغيراته في الطبيعة وما حولها للإنسان ، فهو الغاية والوسيلة ، وفي هذا يعني إنكاراً لوجود الخالق وحتمية قدرته وسلطته اللامحدودة على الكون ، في الوقت الذي يكون " الله هو الحقيقة الفكرية الكبرى الأولى التي يستنتجها العقل من الطبيعة ويرتاح بالوصول إليها من ألم الفراغ والشك والجحود والإنكار "[١] . وهذا كله ينبثق من خلال فلسفات واتجاهات ومذاهب مختلفة ، فهناك منطلقات حداثية " تؤكد على فوضى الكون متمثلة بلا معقوليته وعبثيته ، ومنهم من يؤكد على فوضى العالم متمثلة بعزلة الإنسان عن الإنسان ، وغربته ، وبفساد العلاقات الاجتماعية ، وضياع القيم ، والآلية التي تسحق الكيان الإنساني سحقاً لا يرحم ، وبالرعب الذري والدمار الذي يتهدده في كل حين . وآخرون يؤكدون على فوضى الإنسان نفسه ، الإنسان من الداخل : بثنائيته وتشتته وتمزقه ، بقلقه

(٥) خلاف ، عبدالمنعم محمد ، المادية الإسلامية وأبعادها ، دار المعارف ، مصر ، ٥٦ .

وعذابه وغضبه ، بنزعاته الهابطة وحسه الثقيل .. ثم هناك – أخيراً من يؤكد على فوضى العلاقة بين الإنسان والله ، تلك التي تتبلور بمواقفهم من القدر والحرية [١].

إنّ مراجعة حقيقية لأسباب هذه الفوضى التي تعم العالم كله ، وتقوده من خراب إلى خراب، توصلنا إلى جواب واضح ، يتلخص في موقف الإنسان مهما كان دينه واتجاهه وفلسفته من مسألة التوحيد . إذ يقول في كتابه العزيز **﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [٢].

ثانياً – أزمة الوعي الإسلامي في ظل حداثة الوعي الحضاري العالمي :

بدءاً .. ثمة أسئلة لابد من طرحها وبكل جرأة وشجاعة إذا أردنا حقاً أن نحلل مواقفنا من الحياة ... وتكمن في قدرتنا على مواجهة الحقيقة ، فلو سألنا أنفسنا لماذا انهارت الحضارة العربية الإسلامية أمام الغزو الخارجي على يد هولاكو ...؟ لماذا سقطت الأندلس بيد الصليبيين وتنصر كثير من المسلمين ...؟ لماذا انهارت الدولة العثمانية (الإسلامية) وتقسم العالم العربي والإسلامي ...؟ لماذا سقطت العقلية الإسلامية وأصبحت متخلفة في ظل هيمنة الثقافة الغربية وعولمتها...؟ هل الإسلام دين تخلف أم المسلمون اليوم متخلفون ...؟

إن أزمة هذه الأسئلة وغيرها تتلخص في معرفة إمكانية العقل الإسلامي وتحليل قدراته ، في ظل ظروف تخلف ألمت به ، فتراكمت عوامل كثيرة ساهمت في تعطيله ، فحجبت عنه الرؤية المستقبلية في ظل صراعات سياسية دموية بين المسلمين أنفسهم من جهة ، وبين المسلمين وقوى البغي من جهة ثانية ، فضلاً عن تلك الصراعات العقائدية المذهبية القائمة بين المسلمين على أرض الواقع من جهة ثالثة .

إنّ أزمة الوعي الإسلامي هي أزمات كثيرة ، منها أزمة فهم حقيقي الإسلام ، وأزمة فهم واقع الأمة الإسلامية ، وأزمة فهم الآخر وتقبل معطياته ، وأزمة فهم الأنا / الذات ومعطياتها . ولما كان الآخر يتمثل بالغرب المتمدن والمتقدم حضارياً على الأمة الإسلامية ، ومعطياته تتمثل بحداثة الوعي بكل أشكاله (العقلي والنفسي والعلمي والثقافي

(٦) خليل ، عمادالدين ، فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤ .
(٧) سورة الرعد – ١٩.

والسياسي والاقتصادي) ، كان لزاماً علينا أن نتفهم قدرة ذلك الوعي الذي غلبنا في كثير من مناحي الحياة ، أمام العجز الذي نحس به .

إنّ حقيقة الإسلام ناصعة ، وواضحة لا يشوبها غبار ، فالعلة ليس في الإسلام ديناً ، وإنما العلة بالمسلمين أنفسهم ، وفي مدارات وعيهم بدينهم وبالآخرين من غير دينهم ، إذ إن الإسلام والأمة الإسلامية معرضون للهجمات الغربية المخطط لها ، وإزاء ذلك علينا كما يرى المفكر والعالم الإسلامي إسماعيل الفاروقي أن نفهم بأن "الرؤية الإسلامية يحتاجها الجميع لتحميهم من المبادئ الأجنبية التي تغزو وعيهم. ومتى لم يصبح كل فرد محصناً ضد الأمراض، فالضحية هي الأمة ولا شك. أضف إلى هذا أن الإسلام هو الدين الشامل الذي تلائم رؤيته كل نشاط وكل جهد إنساني سواء أكان بدنيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو ثقافيا أو روحيا. إنه ليس – كالمسيحية أو البوذية – دينا أخرويا فقط يقنع بأمور اللاهوت تاركا ما وراء ذلك لقيصر"[(١)] .

إنّ أزمة الوعي الإسلامي تكمن في ضعف قدرة الوعي لدى المسلمين بأن الإسلام دين قيم على المستويين العقائدي والحضاري ، وأنه لا فاصل في الإسلام بين العقائدي والحضاري ، لأن كليهما ينبعان من وعي دنيوي وأخروي .

ومن هنا ... تمثل الحداثة في الوعي الإنساني واقعاً حضارياً حياً لطبيعة العلائق المشتركة بين الأنساق المتفاعلة ثقافياً ودينياً في الحياة الإنسانية ، وذلك من خلال وعي منفتح على نفسه وعلى الآخرين ، وهذا لا يتحقق إلا عبر حوار حضاري متكامل ، يقوم على التفاهم الحقيقي مع الآخر بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه ، مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية الأمة الإسلامية وعدم التنازل عن مبادئها وحقوقها .

بيد أنّ الأمر ليس بالسهل كما نتصوره ، وذلك للخصوصيات الحتمية التي تتمتع بها كل أمة من الأمم وتفترق عن غيرها ، فالأمة الإسلامية تنبثق سلوكياتها وأهدافها من معالم منهجها الإسلامي ، ولا يمكن لها أن تتنازل عن أساسياتها المبدئية ، وأهمها (مبدأ التوحيد الإلهي) . وبالمقابل ، فإن الغرب الحداثي ينطلق من مبادئه وفلسفاته الوضعية

(٨) الفاروقي،إسماعيل راجي، أسلمة المعرفة، تر: عبدالوارث سعيد، جامعة الكويت، دار البحوث العلمية بالكويت، ٢٨ .

التي التزمها بعد أن هجر الكنيسة بمحتواها الديني .ومن هنا " فإن حوار الحضارات الحقيقي لما يزل في طور بدء المغامرة الإنسانية : إنه أكثر الأمور إلحافاً من أجل إقامة علاقات جديدة مع العالم ، مع سائر البشر ، ومع مستقبلنا المشترك "[١].

إنّ المنهج الحداثي الذي اتبعه المجددون من خلال نظرتهم للدين بوصفه المقدس يعتبر مشروعاً مجدداً في الفكر الإسلامي على مستوى العقيدة ، إذ يقوم على الربط بين الإيمان القائم على النية الصادقة ، وبين السلوك القائم على تفعيل حركة الإيمان بما يؤسس للعقيدة مظهرها الخلاق ، متجاوزين في ذلك ما آلت إليه العقليات الإسلامية المتزمتة من جهة ، والعقلية الحداثية المادية التي تأثرت بالعقل الغربي وفلسفته المادية بكل مفرداتها ومقوماتها ، والتي ألغت دور الروح في الأصالة والإبداع المؤسس على الإيمان بعقيدة التوحيد ، وهم بذلك ينطلقون من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله وإيمانه العميق بوجود الله ووحدانيته وسلطته الإلهية .

إنّ حقيقة هذه الأزمة بين وعي الحداثة ووعي المقدس بوصفه السلطة العليا لا تقع على عاتق المسلمين لوحدهم ، وإنما هي أزمة صنعت بداياتها مناخات العالم (الغربي) غير الإسلامي من خلال تفوقه الحضاري على الأمة الإسلامية ، واستغلاله لها بشتى الطرق ، مما خلق لها عقداً وانكساراً نفسياً حاداً ، وحاجزاً معنوياً ، لم تستطع الأمة الإسلامية من تجاوزه ،وفي ذات الوقت ظهرت عدة تيارات مختلفة ما بين معارضة ومؤيدة للحداثة والمدنية الغربيتين .

وفي الوقت الذي أصبحت لدى الكثيرين من غير التيارات الإسلامية من المنادين بتيار الحداثة قناعات – وبلا وعي مدروس – لتقليد حداثة /الحضارة الغربية بكل جوانبها ، شكلت الحداثة الغربية عقدة لدى التيار الإسلامي السلفي الذي رفض الأخذ بها . في حين ظهرت مع بدايات النهضة العربية في مطلع القرن التاسع عشر دعوات كثيرة من أعلام ثقافية وإسلامية عربية تؤكد عدم التعارض بين الموروث العربي الإسلامي وبين المدنية الغربية الحديثة ، وذلك بعد أن سافروا إلى دول الغرب ، واطلعوا على ما

(٩) غارودي ، روجيه ، حوار الحضارات ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، ط٦ ، ٢٠٠٦ ، ١١٦ .

آلت إليه المدنية الغربية ، فدعوا إلى الانفتاح على الغرب والأخذ من تمدنه ولكن بشرط الإيمان المطلق والمسبق بالدين الإسلامي [١]خشية التغرر به.

ومهما يكن من أمر ، ومع كل المحاذير التي أطلقها الرواد المسلمون الذين دعوا إلى نقل الحداثة الغربية إلى دار الإسلام ، وبما يخدم المسلمين ، إلا أنهم بدعوتهم تلك ، وتهافتهم على الثقافة الغربية وإمكانية الأخذ منها ، بدواع التطور والتقدم ، مستعينين بنصوص من الحديث الشريف ، كان له أثره السلبي على الثقافة العربية والإسلامية . فبدلاً من يجروا الغرب إلى ساحة الإسلام ، جذبوا المسلمين إلى أوربا ، وأعطوها فرصة البروز كمساهم في التقدم الإداري والعسكري والاجتماعي والسياسي ، فبرزت أوربا / الغرب على أنها صاحبة رسالة تمدينية وحضارية . وهذا ما يعني القبول بمبدأ التابع من ناحية ، والاعتراف بأن الغرب نموذج من ناحية ثانية [٢]، وأنه صاحب الفضل على العرب والمسلمين في كل مناحي الحياة.

ثالثاً – القراءة الحداثية بين أزمة التوحيد وسقوط الإله :

إن الحداثة الغربية حداثة فلسفات وضعية ، لا تنطلق من عقيدة إلهية سماوية مقدسة ، لذا، فهي قابلة للوقوع في أخطاء إنسانية ، لأن ما يؤسسه الإنسان من منطلقاته ومعتقداته الذاتية ، الوضعية ، بعيداً عن العقيدة السماوية يتغير بتغير المفاهيم العقلية ذاتها . أما الثوابت فهي ما يتعلق بالعقائد السماوية – ومنها ما يختص بعقيدة التوحيد والإيمان بالرسل والأنبياء – فإنها لا تتغير مهما تغيرت العصور ، وهذا ما أكده القرآن الكريم بدليل قول الله : **﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ ﴾** [٣].

وقوله في وصف عقيدة المشركين وضعفها **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**

---

(١٠) أدونيس ، الثابت والمتحول ، صدمة الحداثة ، دار العودة – بيروت ، ٣٥– ٣٩ .

(١١) ينظر : الكبسي ، محمد علي ، في النهضة والحداثة ، دار الفرقد ، دمشق ، ط٢ ، ٢٠٠٧ ، ٢٦٥ .

(١٢) سورة يونس –٦٦ .

(٤١) إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾[١].

لقد أدرك مفكرو الحداثة الإسلامية كنه الحداثة الغربية واتجاهاتها الإلحادية، وأن قيمة الإنسان لا ترتقي بسقوط الإله / المقدس، والخضوع للطبيعة، لأنهما مخلوقان، فهل من المعقول إسقاط الخالق وارتقاء المخلوق ...؟ إنه أمر مخالف لكل الشرائع السماوية التي قامت على توحيد الإله، بل وحتى شرائع الوثنية القديمة التي قدست آلهتها زلفى في التقرب للخالق ...

إذن ...لا تعارض بين الإسلام كدين بعثه الله تعالى وبين والعلم ، بل إن العلم منبثق من دوافع الدين نفسه ، فالله تعالى هو أول من علم ووهب العلم لمخلوقه ، ففي قوله تعالى : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣)﴾** [٢] دلالة أكيدة على أنه أصل لكل معرفة وعلم ، وما دامت قوى الطبيعة مسخرات من قبله تعالى ، فلابد أن يمنح الله تعالى خلقه القدرة على الاستفادة منها، لأنها وجدت لخدمته ، لا ضده . .

إنّ القطع بالأسباب دون معرفة مصادر مسبباتها تعد فوضى في مجالات العلم نفسه ، وقد علق عليها العلماء المسلمون ومنهم الغزالي [٣]، ومن بعدهم العلماء الغربيون .إذ إن الطبيعة مخلوق خلقه الله تعالى ، فكل ما يحدث فيها من تغييرات وتقلبات على سطحها أو في أعماقها ، فإن لله تعالى دخل فيه ، وهو المسبب في كل ما يحدث ، وهناك من الأخطاء التي يقوم بها الإنسان ، وهو يجهل مديات خطأه ، فكل ما يحدث نتيجة هذه الأخطاء ما هو إلا من قبيل رد الفعل الصحيح على الفعل الخطأ ، حتى وإن كان سهواً .

---

(١٣) سورة العنكبوت .

(١٤) سورة البقرة .

(١٥) ينظر : كتابه (تهافت الفلاسفة) .

إن ما تقدم من دلائل قرآنية وعقلية – ومن خلال الوعي بسلطة المقدس – تجعل " الإقرار بأنّ كل مبادرة من جانب الطبيعة أي قوة طبيعية ، محكومة في نهاية المطاف بقدرة الله تعالى وتصريفه. وبذا تنتفي أوهام السحر والشعوذة والأرواح الشريرة ، وأية تصورات مشعوذة عن تدخل تحكمي من جانب أي مخلوق في عمليات الطبيعة . بلغة أخرى.

رابعاً– ملامح من نقد الحداثة الغربية :

لقد انتقدت الحداثة الغربية نفسها من قبل مفكريها وفلاسفتها الموضوعيين ، في معظم ما توصلت إليه من تقدم ، وفي مجالات عديدة ، وأهمها ، موقفها من الدين وسلطة الإله ، وموقفها من الذات وسلطة العقل ، وكذا في موقفها من الأخلاق والأحوال الاجتماعية ومنه ما يخص التفكك الذي أصاب التكوين الأسري للمجتمع .

يقول **آلان تورين** :" إن مأساة حداثتنا هي أنها تطورت وهي تناضل ضد نصفها ذاته ، مطاردة الذات باسم العلم ، نابذة كل إسهام المسيحية الذي ما يزال يحيا في ديكارت وفي القرن التالي ، مدمرة باسم العقل والأمة تراث الأثنيينية المسيحية ونظريات الحق الطبيعي التي ولدت إعلانات حقوق الإنسان والمواطن على جانبي الأطلسي .بحيث أننا ما نزال ندعو حداثةً ما هو تدمير لجزء أساسي منها ....."[١]

أما **بيرمان** وهو أحد أكبر النقاد الغربيين للحداثة ،فقد انتقد تجربة الحداثة وأثرها على الحياة والحضارة المدينية بقوله : " من المفارقات الساخرة أن عمليات تغليف الحياة الحديثة بالألغاز وعمليات تدمير بعض أكثر إمكاناتها إثارة استمرت ، على الصعيدين النظري والعملي كليهما ، باسم الحداثة التقدمية بالذات . غير أن تلك الفوضى المتحركة القديمة ظلت مسيطرة على العديد منا – أو ربما جددت سيطرتها – على الرغم من كل شيء .فالنزعة المدينية – الحضرية دأبت عبر العقدين الماضيين على صياغة مفهوم هذه السيطرة وتشديد قبضتها "[٢].

---

(١٦) نقد الحداثة ، ولادة الذات ، آلان تورين ، منشورات وزارة الثقافة ، سورية، ١٩٨٠ ، ٢ / ١١ .

(١٧) بيرمان، مارشال، حداثة التخلف – تجربة الحداثة، تر: فاضل جتكر ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ١٥٨ .

وفي نقد الحداثة المدينية كتبت جين جاكوبز عام ١٩٦١ كتاباً بعنوان (موت المدن الأمريكية الكبرى وحياتها) ، جاء فيه : " كانت الأمداد الحضرية التي أنجبتها الحداثة نظيفة ومنظمة على المستوى المادي ، ولكنها ميتة اجتماعياً وروحياً "[١] .

ومن أهمية مبدأ التوحيد وحتمية الإيمان به ، يمثل الوعي العربي ومن خلال سلطة المقدس خميرة الوعي الإسلامي من الناحية التاريخية ، ومادته التي شكلها الوحي الإلهي ، واستعملها كسياق اجتماعي لتنزله ، وكمطية وحامل للحقيقة الربانية . وقد تجسد هذا الوعي في كليته في شخص الرسول الأعظم محمد الذي تنزل عليه الوحي ، فكان هذا الوعي هو الوسط الحي الذي جاءت فيه النبوة ، ومثل في وقتها ولا يزال معجزة بحق كما أصبح هذا الوعي الجديد مدخلاً معرفياً لدراسة وفهم واقع الحياة الإنسانية ، فالإسلام بوصفه المقدس في بداية ظهوره وانتشاره كانت مادته العرب الذين دخلوا الدين الجديد ، وتفقهوا فيه ، واجتهدوا ، وجاهدوا من أجل كلمة التوحيد وإعلاء شأنها ، وبفضل الدعوة الإسلامية ، وإيمان الدعاة المسلمين وجهودهم في نشر مبادىء هذا الدين دخلت أمم فيه وهي لا تفقه اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها ، ولكنهم تعلموها ليتفقهوا في دينهم كما تفقه المسلمون الأوائل من العرب ، فأصبح الإسلام أمة كبيرة مادته المسلمون أينما كانوا – عرباً وغير عرب – بغض النظر عن اللغة واللون والعرق والجنس بفضل الإيمان بوحدانية **الله** .

خامساً – نحو منظومة وعي إسلامي جديد :

إن الأمة الإسلامية بوجودها المتكامل تشكل منظومة عقلية ، ومع أنها تعبر عن المرحلة التاريخية الرائدة التي يعيشها الإسلام في مواجهة التحديات الكبيرة التي يشكلها خطر الفكر الغربي في كثير من جوانبه في حياته المادية والأخلاقية، فضلاً عما يشكله من هجمات وصراعات ، فكرياً وحياتياً لا على الأمة الإسلامية ، وحسب ، وإنما على الحياة الإنسانية برمتها. إلا أن هذه المنظومة – اليوم – بحاجة إلى إعادة تأسيس وتنظيم وبناء جديد.

(١٨) حداثة التخلف ، ١٥٨ .

إن تأسيس منظومة عقلية إسلامية جديدة يتوقف على مديات تفعيل سلطة الوعي في العقل الإسلامي ، وشموليته الحياتية ، بما ينسجم مع معطيات الحضارة الإنسانية في ضوء المبادىء الإسلامية ، وإنسانية الإنسان التي ترفض القتل والدمار والتخريب والتشتت ، والنظر للآخر من منظور إسلامي، وهو منظور إنساني لا مجال للشك به , إذ إن المستقبل الجديد للإسلام والمسلمين بحاجة إلى صياغة **(منظومة معرفية إسلامية)** جديدة ، تتماشى مع مقتضيات العصر وقضاياه على هدى الإسلام ، ومنهجه في الحياة وأساليبه في كيفية التعامل مع الآخرين ، كما تتطلب سعي المسلم وتدخله في عملية إعادة صياغة وبناء الزمان والمكان ، وليس الهروب والتخلص منهما ، على شاكلة ما تصبو إليه النزعة الهندوسية والبوذية .

إن واقع الحياة الإنسانية لم يعد يقبل عقلية الرفض المطلق لعالم اليوم ، وإنما يتطلب التوافق والتكيف الحي مع معطيات الحياة المستقبلية ، فالحوار الذي يفتحه الإسلام مع الآخر ومن خلال مبادىء التوحيد ما هو إلا حوار " بين حواس الإنسان وبين أهدافها ومطامحها القريبة والبعيدة في الخارج ، تتيح لهذه الحواس ، من نظر وسمع ولمس وذوق وشم ، تنمية دائمة لإمكاناتها ، وتوسيعاً لا يتوقف لآفاق نشاطها ، وتهيئة لها لأن تكون قادرة فعلاً على الاستجابة لأكبر عدد ممكن من المؤثرات ، والتناغم إلى أقصى حد ممكن إزاء ما يحيط بها من أشياء ، وما يناديها من قيم بثها الله في كل مكان "[١] .

(١٩) خليل ، عماد الدين ، في النقد الإسلامي المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ٣١ .

المبحث الثاني

الحداثة والإسلام

القراءة الحداثية بين صراع السلطات

والنظام البديل

أولاً – القراءة الحداثية وسلطة النظام الثقافي :

مما لا شك فيك أن القرآن الكريم هو كلام الله الموحى إلى نبيه ورسوله الأعظم محمد لهداية الناس لعبادة الخالق الواحد الذي لا شريك له في الخلق والتكوين ، فهيأ له بواعث وحيه ، وأسباب نزوله ، وحفظ فيه كوامن سلطته من لحظة إيحائه إلى يوم النشور والوقوف بين يديه، وأنه يمثل سلطة عليا تتمثل بقوة منزله .

لقد كان سلطة نزول القرآن الكريم في مكة العرب لغة وبلاغة وفصاحة وفكراً ومنهجاً عقائدياً سماوياً تحدياً كبيراً للعقل العربي والذائقة العربية ، وذلك لما أحدثه من انقلاب وتغيير فيهما ، ولعل ما نقله الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم ، ومن أكابر شعراء عصره وأقواهم في الشعر إلى زعماء قريش وهو يمثل سلطة الموروث (الجاهلي) فكراً عقائدياً واجتماعياً وقبلياً عن القرآن الكريم خير دليل على ذلك ، إذ كان الوليد بن المغيرة من الذين استكبروا عن اتباع الحق ، وآثروا لهو الدنيا وما فيها ، وكذبوا النبي ولم يؤمنوا بما جاء من عند الله، فذهب إلى رسول الله ليسمع منه القرآن بنفسه ، ويقف على حقيقة أمره ، فلما سمعه رق قلبه وشغف به ، لما وجد فيه من معان سامية وبلاغة وفصاحة عالية ، فلما بلغ ذلك أبا جهل عمرو بن هشام ، جاءه فسأله عن القرآن ، قال له الوليد : " والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا – أي الشعر – والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، إنه يعلو وما يعلى عليه "[١] .

إنّ ما تقدم دليل يؤكد قوة تأثير سلطة المقدس السماوي على سلطة الموروث القبلي (الجاهلي) بكل مضامينه الفكرية والعقائدية والاجتماعية . فالوليد وإن استكبر ولم يسلم لدين الله ، إلا أنه في قرار نفسه اعترف وأمام زعماء الكفر والإشراك بتفوق قوة

(٢٠) السيرة النبوية ، ١ / ٢٦٥.

سلطة ما جاء به محمد على ما يمتلكونه من سلطات ، وهذا بحد ذاته هو ضرب من الحداثة الانقلابية التي جاء بها الإسلام ، لأن النص القرآني الذي سمعه الوليد وتأثر به أحدث هزة في الذائقة العربية الجاهلية المؤسسة على موروثها العمقي ، وكما أن للحداثة في كل زمان ومكان مؤيدوها لابد أن يكون لها من يعارضها ويقاومها وبشدة ، ولما كانت سلطة المقدس بما تمتلكه من نظام لا يضاهيه أي نظام آخر لابد لها أن تستكمل وتمضي في طريقها الذي قدره صاحب السلطة العليا وهو الله .

إنّ من الأمور التي وحدت الأمة الإسلامية ، وأظهرتها أمة واحدة ، منذ أن دخلت الإسلام وتغلبت على جاهليتها ، هي تلك القراءة الحداثية للقرآن الكريم ، والتي اتسمت بقوة سلطة المقدس وفعاليتها في العقل الجاهلي ، وقدرتها على التغيير في الحياة الدينية ، والانقلاب على مسارات الجاهلية في طقوس عبادتها .

أما الحداثة كمفهوم ومصطلح حديث ، وكنظام ثقافي كبير لم يستطع أن يتفاعل مع ...؛ وإنما استطاع أن يغزو كل ميادين الحياة الإنسانية ، وذلك ، لأن نظام الحداثة الغربية يسعى إلى الهدم المتكرر لكل الظواهر التي يعتقدها ثابتة ، ليحل محلها نظامه المتجدد المرتبط به ، حيث ‘ن الحداثة " ترتبط بوعي تاريخي خصوصي يجعل من الحاضر المولِّد دوما للمستقبل إطارها . ومن ثم فهي – أي الحداثة – إذا لم تخلق زمنها فإنها لا تحتاج إلى أزمنة أخرى ، أو إلى الرجوع إلى مراحل سابقة "[١].

لقد فهم نظام الحداثة وكأنه نظام يقوم على هدم كل ما هو ماض ، ومعاداة للتاريخ ، في حين ظهر نظام الحداثة ليمثل التصدي والمقاومة لكل ثبات ، وإن المعيارية التي يقوم عليها هي الانقلاب والثورة على المقاييس التي تعتمد على المؤسس الثابت ، والوقوع في فخ التاريخية ، حيث تجعل من التاريخ أثراً خالداً مقدساً موضوعاً في متحف[٢] .

إنّ مشكلة الإسلام مع الحداثة تكمن في النظرة الإسلامية للحداثة ، والتي ترى أن واقع الحداثة الغربية قام على أساس مجابهة وهدم المؤسسات الدينية الكنسية التي

---

(٢١) ينظر : أفاية ، محمد نورالدين : الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، دار أفريقيا الشرق ، ط٢، بيروت ، ١٩٩٨، ٢٦ .

(٢٢) ينظر : هابرماس ، يورغن : الحداثة وخطابها السياسي ، تر: جورج تامر ، مراجعة : جورج كتورة ، دار النهار للنشر ، ط١، ٢٠٠٢ ، ١٨ – ١٩ .

مارست وصايتها على الدين والثقافة والسياسة والفكر والاقتصاد باسم الوصاية الدينية، فضلاً عما خلفته من أزمات وحروب دينية واجتماعية وسياسية مزقت المجتمعات الغربية.

ولا تنحصر الرؤية الإسلامية لدى المفكرين الإسلاميين عند هذه الحدود في قراءاتهم للقرآن الكريم ، فهم يرون أن الحداثة الحالية تعيش أزمتها ، وأن الحروب التي خاضتها الشعوب الغربية داخل مجتمعاتها وخارجها ، وبكل دواعيها وحججها أفرزت نتائجها السلبية على مجتمعاتها في جوانب كثيرة من حياتها الاجتماعية ، ولربما كان من أهمها ، ذلك التآكل التدريجي للأسس والموقومات والعلائق الإخلاقية الوجدانية الإنسانية التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد ، ولعل هذا ما يبشر – في رأيهم ورأي المفكرين والنقاد الغربيين أنفسهم – بأنّ زمن الحداثة الغربية زمن تقليدي ، ومنحسر ، وأنه يبشر الغرب بأن زمن الحداثة الواعية – لا محال – في سبيله إلى الانتهاء[١] .

ثمة صراع يدور بين الحداثيين الداعين إلى الحداثة في الإسلام ، أو ما يمكن تسميته بـ (تحديث الإسلام) ، ويكمن هذا الصراع في السؤال الذي يطرحه الكثير من المفكرين الحداثيين والمسلمين ، وكذا من نقاد الحداثة ، والسؤال كما يطرحه الناقد البحريني نادر كاظم يكمن في الإمكانية والوسائل من حيث ترتكز مفاهيم الأنظمة الثقافية ، وهو: هل بالإمكان أن يكون المسلم حداثيا ؟ والإجابة على هذا السؤال – كما يرى – محفوفة بالمخاطرة ، وذلك " لأن هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الإسلام – كنظام ثقافي – لنظام آخر منافس يزاحمه في عقول الناس وحياتهم ... كما أن الحداثة دخلت كضديد للإسلام ومزاحم لن يقبل بأقل من إزاحة الدين عن المشهد وحصره داخل إطار التجربة الشخصية ، وهذا هو خيار العلمنة التي طرحت في عالمنا ، كحل أقرب إلى التسوية بين الإسلام والحداثة "[٢].

(٢٣) ينظر : وليامز، رايموند : طرائق الحداثة ،تر: فاروق عبدالقادر ، سلسلة عالم المعرفة ، ع/٢٤٦، المجلس الوطني للفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ٤٣ .

(٢٤) نادر ، كاظم ، حداثيون .... ويصلون ! أدلجة الدين وأدلجة الحداثة ، مجلة علامات ، وزارة الثقافة ، مكناس ، المغرب ،ع٢٥، ٢٠٠٦، ٢٧ .

إنّ الصراع الإسلامي – الحداثي ، أو الحداثي الإسلامي – إن جاز لنا التعبير – يكمن فيما يشكل كل من الإسلام والحداثة نظاماً ثقافياً مستقلاً عن الآخر ، بل ومفصولاً عنه ، وكل منهما يعتبر نفسه النظام الكوني الذي يتسع لكل شيء .

وحقيقة الأمر ... فالحداثة الغربية من وجهة نظر بعض المثقفين الإسلاميين عرباً كانوا وغير عرب ، المتأسسين على الثقافة الهامشية (الواحدية) ، أنها حداثة الغرب الكافر ، وأن كل ما يأتي إلى الإسلام منها بفعل التثاقف الحضاري هو ضد الدين وتراث الأمة ، بل هو ضد الهوية العربية التي نزل القرآن الكريم بلغتها[١].

أما الحداثيون يرون في المفكرين الإسلاميين عدم قدرتهم على قراءة الإسلام على وجه العموم والقرآن الكريم على وجه الخصوص قراءة حداثية تمكنهم من تجاوز مشكلاتهم ومعضلاتهم الحياتية ، وتفاعلهم مع الآخر الذي هو الغرب الحضاري الجديد .

إنّ السبب الذي يكمن وراء هذين الموقفي المتضادين يعود إلى " أن كلاً من النظامين – الإسلام والحداثة – تعرض لعملية أدلجة حولته من نظام ثقافي يقبل التعايش مع غيره إلى آيديولوجيا قطعية لا تقبل المنافسة ، ولا تستطيع التنازل عن طابعها الكلي العام . بل قد يؤخذ هذا التنازل كما لو كان تقويضاً لأصل النظام . وعلى هذا فلا الحداثة تقبل أن تنحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه فلسفة اليونان ، ولا الإسلام كذلك يقبل أن ينحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه مسيحية الغرب "[٢].

إذن ، إنّ الصراع بين الحداثة والإسلام يقوم على مسارين متناقضين ، ولا يمكن لهما أن يلتقيا ، ويتلخصان في :

الأول – يدعو إلى تحديث الإسلام وفق المنهج الغربي الذي تمليه عليه ثقافته الغربية ، وهذا يعني تغليب الحداثة على الإسلام .

---

(٢٥) ينظر: من الكتب التي تصدت للحداثة كتاب الدكتور (عزت السيد أحمد : الحداثة بي العقلانية واللاعقلانية–انهيار دعاوى الحداثة–دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر،دمشق، ط٢،١٩٩٩).

(٢٦) حداثيون .... ويصلون ! أدلجة الدين وأدلجة الحداثة ، ٢٩ .

والثـاني – يـدعو إلـى أسـلمة الحداثـة[١]، وهـذا يعنـي تنـازل الحداثـة عـن مهماتهـا الحياتية المواكبة لروح العصر وتغيراته ، وإيقاف عجلتها واستمراريتها .

إنّ كلا المسارين لم يوفقا ، وذلك لعدم استيعاب كل منهما الآخر ، وأن كلاً منهما أراد أن يجعل من ثقافته ثقافة مركز/ نظام يتمتع بسلطته المنفلتة ، ومسخ ثقافة الآخر .

إنّ الأمـة الإسـلامية إذا أرادت لهـا أن تحقـق النجـاح فـي طريقهـا إلـى الحداثـة الإسلامية الجديدة ، يستوجب عليها أن تضع معيارية جديدة لمنظومة العقل الإسلامي ، والاستلهام من كل القراءات القديمة والحديثة ، والإقرار بسلطة المقدس على أنها السلطة العليا فـي كـل القـراءات ، بـدءاً مـن التوحيـد والاعتـراف بـالوحي والنبـوة كمـا فهمـت فـي عصرها، وانتهاء بالثوابت التشريعية التي أقرها القرآن الكريم .

ثانياً – القراءة الحداثية ومعيارية العقل الإسلامي الجديد :

إنّ الدعوة للسعي وراء تأسيس منظومة عقلية إسلامية تفهم معنى التوحيد على أنه جوهر الخبرة الدينية والحياتية لا يعني أن المسلمين لم يعرفوا مثل هذه المنضومة من قبل ، أو أنهم لم يفهموا معنى التوحيد ، وإلا ما آمن أحد بالإسلام من أول لحظة بشر به الرسول، وإن ما وصلوا إليه في تقدمهم في علومهم الرياضية والفلسفية ما كان إلا بفعل تلك المنظومة المنفتحة على بوابات العوالم المتقدمة فأفادوا الإنسانية جمعاء . فالمسلمون سبق لهم أن أسسوا منضومتهم المعرفية الإسلامية من منطلق الحاجة إلى هذه المنضومة ، على أنقاض منظومات حضارية كبرى ، أوشكت على الزوال ، ولا يمكن التقليل من شأنها لما تركته من أدوار إيجابية في الحياة الإنسانية فأخذت منها ما راق لها ، لتشحنتها بشحنة إسلامية من خلال وعي يقوم على فهم الحاضر والمستقبل واستيعاب كل المتغيرات الحياتية للمجتمع الإسلامي. وهذه الحضارات هي (اليونانية والفارسية والهندية) التي كان لها شأنها وأثرها الكبير في الحياة الإنسانية ، فكان للمسلمين السبق في إعادة صياغة هذه الثقافة في أطار الوعي العربي الإنساني ، والثقافة الإسلامية .

وإذا ما أردنا إجراء مقارنة جدية بين ما كانت عليه منظومة العقل الإسلامي بالأمس وما هي عليه في الوقت الحاضر ، تبين لنا بوضوح تام تقدم المنظومة الإسلامية

(٢٧) ينظر : حداثيون .... ويصلون ! أدلجة الدين وأدلجة الحداثة ، ٢٩ .

السابقة في كل مؤشراتها على ما هي عليه الآن ، بدليل تفوقها على المؤسس العقلي لمنظومة العقل الجاهلي يوم بعث النبي الأمي محمد في مجتمع جاهلي لا يمنح ولاءه العقلي والوجداني إلا للآلة التي صنعها بيده فعبدها وقدسها ، فمارست تلك العلاقة سلطتها .

ولعلنا نجد في الحوار الذي دار بين زعماء قريش ورسول الله أثر تلك السلطة عندما بعثوا إليه ليكلموه في الكف عن دعوته فقالوا له :" يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً – فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ، فقال لهم: ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم "[١]

ولعل من أهم المؤشرات الخطيرة على منظومة العقل الإسلامي – في الوقت الحاضر – في ظل الصراعات الفكرية بين المسلمين أنفسهم " غياب العقل الاستراتيجي ، عن الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة .. العقل القادر على استشراف الماضي ، وفقه الحاضر ، وإبصار المستقبل ، في ضوء عطاء الوحي ، وهداياته ، وكسب العقل ، من خلال التخصصات المتعددة، التي لابد منها لتشكيل العقل الجماعي للأمة .. وشيوع عقل التبرير والتسويغ .. وغياب فقه المقاصد ، وبروز فقه المخارج ، والحيل الشرعية .. غياب

(٢٨) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ٢٦٥ .

جلب المنافع ، وبروز درء المفاسد ، وسد الذرائع .. الأمر الذي لا يعني أكثر من المحافظة على الواقع ، والإبقاء عليه "[١]

وعليه .. فإن ما يجب أن تقوم عليه معيارية منظومة العقل الإسلامي تقوم على أسس ثلاثة ، تتفاعل فيما بينها لتأسيس مجتمع إسلامي موحد ، ومنفتح على حداثة الآخر بكل معطياتها الإيجابية تتلخص في ثلاثة أسس هي :

الأساس الأول : علمية منظومة العقل الإسلامي :

إنّ علمية منظومة العقل الإسلامي تنطلق من ضرورة اليقين في وجود الخالق وهو وجود أزلي غير طاريء ، ومعرفة التوحيد وإدراكه تقوم على أنه خالق الكون والتسليم بقدرة هذا الخالق ، وأن أي شك في هذا الأمر هو تجاوز سافر على الحق الإلهي في ملكيته ، وخوصيته التي لا ينازعه فيها أحد .

الأساس الثاني :أخلاقية منظومة العقل الإسلامي :

أما الجانب الأخلاقي في معيارية هذه المنظومة الإسلامية وقوانينها الثابتة ، فإن مبدأ التوحيد فيها قانون إلهي ، يقوم على فعل المخلوق وسلوكه في كيفية تجسيد عبادة الخالق الواحد (**لا إله إلا الله**) وفق ما تمليه عليه إرادته، وهي إرادة مطلقة وغيبية ، لا جدال فيها ، إذ يقول الله سبحانه ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)** ﴾[٢]، وأن الله سبحانه يسأل عبده عن كل أفعاله وتصرفاته ولا يحق للعبد أن يسأل الله في نية الحساب ، لأن الحساب والعقاب من مسؤولية الأعلى رتبة وهو الله ، فقد قال سبحانه ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [٣].

الأساس الثالث : قانون منظومة العقل الإسلامي :

أما الجانب القانوني في مسألة التوحيد فإن المعيارية الثابتة في السبق ، تقوم على الإيمان المطلق بوحدانية الإله ، وعدم وجود شراكة إلهية ، وهذا التفرد في الوحدانية

---

(٢٩) خليل ، د. عمادالدين ، رؤية إسلامية في قضايا معاصرة ، كتاب الأمة ، العدد (٤٥) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر، ١٩٩٥ ، ٣٠ .

(٣٠) سورة الأنبياء .

(٣١) سورة الأنبياء – ٢٣ .

الإلهية هو ما دعا إليه عز وجل في كلمة التوحيد **﴿ لا إله إلا الله ﴾** ، **وفي قوله تعالى ﴿ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِي ﴾**[١].

ولو تصور أحدنا أن هناك شراكة إلهية في الخلق والتكوين – والعياذ بالله – هل سيتفق الشريكان في كل شيء ، وهل سيبقى الشريكان على اتفاق واحد ، والجواب الأكيد هو بالنفي ، وذلك لوجود مقاصد لكل نفعية أو سلطوية ، أو تحكمية في الخلق لو كان ذلك الأمر موجوداً، وكل منهما يريد التفوق على الآخر ، فضلاً عن ذلك هناك سبب أخطر وأكبر مما ذكرنا ويكمن في أنّ " لباب الآخرية هو انتفاء اعتماد الآخر على غيره "[٢].

إن المطلوب من منظومة الوعي الإسلامي الجديد إيجاد الطرق الكفيلة التي تستمد منها جوهر حضارتها ومعرفتها التي قامت على التوحيد ، فحققت نصراً على كل الحضارات التي سبقتها ، أو عاصرتها .إن التوحيد بالنسبة للحضارة الإسلامية .

المبحث الثالث

الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني

أولاً – الحداثة وتجليات سلطة القراءة الأولى للنص القرآني :

يتبين لنا فيما تقدم ، أن كلا النظامين الحداثة والإسلام ، وبعد أدلجتهما ، يريدان أن يفرضا أنظمة الوصاية ، وحجتها على الآخر. وبغية الخروج من هذا المأزق الخطير ، وفي الوقت الذي نقول فيه ، بأننا لا يمكن أن نتنازل عن الجانب العقدي للإسلام ، لا يمكن لنا الانزواء في زاوية المؤسس العقدي بعيداً عن التفاعل الحضاري والإنساني المتقدم .ومن هذا المنطلق علينا أن نسقط أنظمة الوصاية المفتعلة ، ونجعل من الإسلام ديناً متفاعلاً ومتثاقفاً مع الحضارات الأخرى كما كان عليه في عصوره الأولى .

ولما كان القرآن الكريم بما يمثله في الجانب العقدي سلطة المقدس التي يحتكم إليها المسلمون في كل أمورهم الحياتية ، لابد لنا من قراءة جديدة للقرآن الكريم ، من منطلق

---

(٣٢) سورة النحل – ٢ .

(٣٣) التوحيد ، ٣٦ .

أن هذا القرآن هو سر وجود الأمة الإسلامية ، وصيرورتها الإبداعية في الحياة الإنسانية على مر عصور نهضتها ، كما أنه سرّ استمراريتها .

لقد فعلت القراءة الإسلامية الأولى – وهي القراءة النبوية الشريفة – للقرآن الكريم ومنذ عصر النبوة فعلها الحداثي الحقيقي في بنية العقل والنفس الإنسانية من خلال سلطتها المقدسة ، واستمرت في فعلها لعصور طويلة ، وهي تتمتع بحداثة متجددة ، متوافقة مع تقدم الفكر الحضاري الإنساني ، ومتفاعلة معه ، تأخذ من حضارات اليونان والأمم الأخرى ، وتعطي إسلاميتها الحداثية الإنسانية بلا توقف ، فماذا يحصل لو استأنف المسلمون في قراءات نبوية إبداعية جديدة للقرآن الكريم ، مع الاحتفاظ بنص القراءة الأولى وروحها وجوه عطائها الإلهي المقدس...؟

إنّ الفرق بين الحداثتين الإسلامية والغربية ، يكمن في سبق الحداثة الأولى **(الإسلامية)** على الثانية **(الغربية)** في الزمن والعطاء الحضاري المتمدن ، كما يكمن في سبق التفاعل الحضاري مع الحضارات الإنسانية التي سبقته ، أو عاصرته ، ذلك التفاعل الذي لم يصل إلى الصراع الديني، لا بين المسلمين أنفسهم ، ولا بينهم وبين الأديان الأخرى .

كما أنّ الفرق بين الحداثتين الإسلامية والغربية يكمن في أن قيام حداثة إسلامية تبدأ من قراءة الإسلام / القرآن الكريم قراءة عصرية يدفعها محاولة بناء الإنسان المسلم وعقله وصيرورته النفسية والروحية من جديد ، ومن خلال القرآن الكريم نفسه ، وليس من خارجه ، ومع مسارات الدين الإسلامي وأهدافه ، وأهمها في الجانب الذي يتلخص بالتوحيد ، وهذا ما لم تبدأ به الحداثة الغربية .

ففي الوقت الذي تتباهى الحداثة الغربية بما وصلت إليه ، فإنها في حقيقة وضعها الذي يتجاهله الكثير من الحداثيين الغربيين تنطلق من الوضع الفلسفي المادي المتأزم للعقل الغربي ، فهي تجعل الإنسان قيمة عليا مطلقة ، وغاية في ذات الوقت ، فهو مركز السلطة بكل أنواعها ودوافعها بعد أن كان الدين / الإله – وبكل ما يمثله – سلطة المركز في حركية الإنسان والحياة . ولعل هذا ما أوقع هذه الحداثة في متاهات الفلسفات الوضعية التي قادت الإنسان الغربي في حالات كثيرة إلى الإلحاد ، وأوقعته في مهالك

وحروب وتفكك اجتماعي وانحلال أسري كبير ، لا يمكن له أن يستقيم بعيداً عن الدين بوصفه سلطة عليا.

ثانياً – الحداثة ومشكلات القراءة للنص القرآني – من القداسة إلى الأنسنة :

من الأمور اللافتة للانتباه أن الحداثيين انجرفوا – وعن وعي مسبق ومقصود – للحداثة الغربية بكل مفاهيمها ، فدعوا إلى قراءات وليس إلى قراءة واحدة للنص القرآني ، من مفاهيم ومنطلقات فلسفية وفكرية وعلمية ، فرأوا أن الأمة الإسلامية لا يمكن لها الولوج في مسارات الحداثة إلا من خلال إعادة قراءة (القرآن الكريم) بما يمثله ، أو بوصفه (نصاً) قراءة حداثية جديدة ،بعيدة عن أسباب ودوافع نزوله ، وبعيدا عن تعاليمه ، وبما يمثله هذا النص من سلطة عليا، وهذا ما أوقعهم في إشكالات عديدة ، يمكن تلخيصها بـ :

١. **مشكلات تتعلق في فهم معنى النبوة .**
٢. **مشكلات تتعلق في فهم ومكانة الوحي ودرجته .**
٣. **مشكلات تتعلق بعقلنة النص القرآني .**
٤. **مشكلات تتعلق في القول القرآني .**
٥. **مشكلات تتعلق في قداسة القرآن الكريم .**
٦. **مشكلات تتعلق في لغة القرآن الكريم وأدبية النص .**
٧. **مشكلات تتعلق في الكتابة القرآنية (من الشفاهية إلى الكتابية) .**
٨. **مشكلات تتعلق بالمعرفة القرآنية .**
٩. **مشكلات تتعلق بتفسير وتأويل القرآن الكريم .**

وإزاء تلك المشكلات يمكن القول ، بأن المشكلات الخمس الأولى متعلقة ببعضها ، وذلك لتداخل علاقات سلطة المقدس ، والعلاقات الزمكانية بينها ، وهي علاقات بنيت على الحقائق العلمية في وجودها وصيرورة حالته ، ولم تبن على جدل السفسطائيين من عرب وغير عرب ، وقد ذهب الاستشراقيون واللسانيون وبعض التاريخيين مذهباً مخالفاً للشريعة والعقل السليم ، وحملوا القرآن الكريم ما لا يقبل .

لقد حاول الكثير من المفكرين العرب المسلمين إعادة قراءة القرآن الكريم قراءة حداثية جديدة، متوافقة مع ما انتهت إليه الحداثات الغربية العصرية ، بيد أن أغلب تلك

القراءات انطلقت من دوافع ذاتية ، غايتها العليا الشهرة والمضي مع تيار الحداثة الغربية ، خدمة للحداثة ذاتها وليس للإسلام . كم أنها تنطلق من منطلقات القراءة النصية أو الخطابية التي تبعد عن القرآن الكريم صبغة التقديس ، وذلك من مفهوم التأنيس الحداثي الذي يقوم على مقارنة النص القرآني بالنصوص البشرية ومعادلتها لغوياً بوصفها خطاباً غير مقدس .

أما المشكلات المهمة الأخرى ، فهي مشكلات تتعلق بوهم الحداثيين في قراءتهم للنص القرآني ، وفهمه ووصفه ، وقد درسها عدد من المفكرين والباحثين الإسلاميين ، وردوا على شبهات الحداثيين المتوهمين المنزلقين في أوهام الحداثة الغربية ، ولعل الباحث والمفكر طه عبدالرحمن[١] كان منصفاً وواضحا في طروحاته ، فقد رأى أن مجمل القراءات الحداثية تريد أن تمارس نقدها للآيات القرآنية ، فهي قراءات انتقادية تتجاوز حدودها ، وذلك باسقاطها مرجعية التنزيل ، والسلطة ، وخروجها على القراءات العقائدية ، إذ يرى أن الذي نجده بين أيدينا من قراءات للقرآن الكريم ، والتي يعدها قراؤها بالقراءات الحداثية ، ما هي إلاّ قراءات تطبيقية للقراءات الحداثية الغربية ، وليس فيها من روح الحداثة الإسلامية شيء ، إذ تفتقد في قراءاتها لمرجعياتها في التفاسير السابقة ، لذا ، فهي مقطوعة الصلة بروح الحداثة ، والإبداع الموصول[٢]. كما كان من أبرز الذين ردوا على تلك الأوهام الباحث محمد زين العابدين رستم الذي أفادت دراسته هذا البحث وأغنته بمصادرها الكثير التي لم يصلنا منها إلا القليل[٣]، كما أفادتنا دراسة الدكتورة فاطمة

(٣٤) روح الحداثة ...المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط١ ، ٢٠٠٥ .

(٣٥) ينظر : روح الحداثة ،١٧٥ – ١٧٦ .

(٣٦) نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي ، بحث مقدم إلى مؤتمر " القراءات المعاصرة للقرآن الكريم " جامعة شعيب الدكالي / كلية الآداب / شعبة الدراسات الإسلامية الجديدة / المغرب ، ٢٠١١. منشور على الموقع (abouyassir.rostom@gmail.com)

الزهراء الناصري التي قدمتها في الندوة الدولية حول (الحداثة والهوية الثقافية ٢٩-٣٠ ابريل ٢٠١١)[١] ، ودراسة الباحث محمد زاهد مجول[٢].

لقد تبنى عدد غير قليل من المفكرين العرب مسألة تحديث الإسلام / القرآن الكريم، ووجوب إعادة قراءته قراءة عصرية جديدة . وكان من أبرز هؤلاء الدعاة وأهم كتبهم أو دراساتهم:

١. طه عبدالرحمن في كتابه (روح الحداثة ..المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية).
٢. محمد أركون في كتبه (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني) و(الفكر الإسلامي نقد واجتهاد) و(الفكر الإسلامي قراءة علمية).
٣. محمد عابد الجابري في كتابيه (فهم القرآن الكريم) و (مدخل إلى علوم القرآن الكريم) .
٤. نصر حامد أبو زيد في كتابه (مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن) و(النص والخطاب).
٥. محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن) .
٦. عبدالمجيد الشرفي في كتابه (الإسلام بين الرسالة والتاريخ).
٧. الصادق النهيوم في كتابه (إسلام ضد إسلام).
٨. علي أحمد سعيد (أدونيس) في كتابه (النص القرآني وآفاق الكتابة).

ومن المعروف أن هؤلاء الأعلام الحداثيين لم يكونوا من المتخصصين في الدراسات الدينية الشرعية وعلومها ، وإنما هم متخصصون في ميادين الفلسفة والفكر الإسلامي والتاريخ والاجتماع والأدب.

أما المناهج التي اتبعها هؤلاء الدعاة في إعادة قراءة القرآن الكريم ، فهي مناهج حداثية مختلفة باختلاف المنطلقات الفكرية والفلسفية التي ساروا عليها ، والتي يمكن استعراض بعض ملامحها معتمدين على طروحاتهم ، والدراسات التي تعرضت لهم :

---

(٣٧) القراءة الحداثية للنص القرآني ، دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف ، والبحث منشور على موقع (ملتقى القرآن الكريم) وعلى أكثر من موقع إسلامي (منتدى الدراسات القرآنية و منتدى القطرية)..

(٣٨) النص والتأويل : استراتيجيات القراءة المحدثة ، بحث منشور على موقع (التنوع الإسلامي).

١. **طه عبدالرحمن** : ويمثل المنهج التاريخي الإسلامي ، ويعد كتابه (روح الحداثة) استكمالاً للمنهج ذاته الذي سار عليه في كتابه (سؤال الأخلاق) ، حيث يسعى طه في (روح الحداثة) إلى هدم سياقات واقع الحداثة الغربية ليؤسس مقومات جديدة لبناء حداثة إسلامية ، وهو يرى في السياق الثقافي للنص القرآني ،أن " النص القرآني عبارة عن نص تم إنتاجه وفقاً لقوانين الثقافة التي تنتمي إليها لغته ، ولا يمكن أن يفسر إلا بالرجوع إلى نظام هذه الثقافة "[١].

٢. **محمد عابد الجابري** : ويمثل منهج الدراسات الاستشراقية التي تنطلق من القراءة التاريخية للقرآن الكريم ، بعيداً عن هوامش المفسرين ، وآرائهم ، إذ يقول " إن فهم القرآن ليس هو مجرد نظر في نص مُلئت هوامشه وحواشيه بما لا يحصى من التفسيرات والتأويلات ، بل هو أيضاً فصل هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي ، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات ، بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها ، كي يتأتى لنا الوصل بيننا نحن في عصرنا ، وبين النص نفسه كما هو في أصالته الدائمة "[٢].

أما كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم) فيبدو الجابري قريباً من المنهج العقلي أكثر مما تاريخي ، وذلك من خلال ما ألت إليه أحكامه واجتهاداته فيما يخص النبوة والقرآن الكريم. وقد عرض **إبراهيم أعراب** أهم النتائج التي توصل إليها الجابري في كتابه هذا فيرى أنّ الدعوة المحمدية (نبياً وقرآناً) لم تعرف أسراراً ، ولا يوجد فيها ما يجعل العقل أمامها قاصراً، بل إن حياة الرسول وتعاليم القرآن تعد موضوعاً مفتوحا لإعمال العقل . أما العلاقة بين النبي والقرآن فهي علاقة يومية ، وأنها لا تتحرك إلا في حدود العقل . أما القصص القرآنية فلا تعدو عن كونها حكاية إخبار ، كانت الغاية منها هي الإقناع ، بعيداً عن إعمال العقل.

أما من حيث إعجاز القرآن ، فإن القرآن لا يحتاج إلى معجزة من خارجه لتؤيد صدقه، من قبيل انشقاق القمر ، أو الإسراء والمعراج ، أو أمية النبي وغيرها ، لأن أمية النبي ليست علامة على المعجزة ، ويحث الجابري على عدم الأخذ بالروايات والتفاسير

(٣٩) شعلان ، د. عبدالوهاب : النص الشرعي وحدود النظر العقلي دراسة نقدية في آراء بعض المفكرين العرب، المركز الجامعي ، سوق أهراس ، المغرب ، البحث منشور على موقع (أهل التفسير) .

(٤٠) فهم القرآن الكريم ، المقدمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٩ ،٧ .

التي تكثر من اعتماد الخوارق والمعجزات ، ويكتفي بميدان القرآن فيراه المعجزة الكبرى للنبي[١] .

٣. **محمد أركون** : ويمثل عدداً من الناهج الحداثية، منها، منهج الدراسات اللسانية الأوربية التي تقوم على اللسانيات اللغوية الذي يستند على منهج التحليل والتفكيك والنقد، وهو يسعى إلى إبراز الصفات اللسانية اللغوية للقرآن الكريم دون الوصول إلى حقيقة بعينها ؛ فهو ينفر منها بشدة ، ويتلخص هدفه الأساس برفع قدسية النص القرآني [٢]. في حين يرى الباحث محمد زين العابدين رستم[٣]بأن أركون يقع ضمن الذين كتبوا في المنهج التاريخي ، حيث دعا أركون المسلمين إلى وجوب قراءة القرآن المجيد على ضوئه .

٤. **نصر حامد أبو زيد** : ويمثل منهج الدراسات التاريخية والتي تنطلق من البحث عن المعنى ، والمعنى الذي يجب أن نتبناه. وكتابه (مفهوم النص) يقوم على محاولة الخروج على المعاني المتفق عليها في القراءات التفسيرية القديمة للقرآن الكريم ، ويرى بأن حقيقة المعنى تبقى خاضعة لآيديولوجيات المفسرين[٤].

٥. **محمد شحرور** : ويمثل المنهج اللغوي . حيث ينفي شحرور وجود الترادف في القرآن الكريم .

٦. **عبدالمجيد الشرفي** : ويمثل المنهج التأويلي .

٧. **أدونيس** : فإن المنهج الحداثي الذي يمثله كتابه (النص القرآني وآفاق الكتابة) يعتمد على المنهج التاريخي غير المحدد ، فهو يقدم قراءته للنص القرآني عبر رؤية

---

(٤١) ينظر : سؤال الإصلاح والهوية ، من السياق السلفي إلى مشروع الحداثة ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ٣٠٠ .

(٤٢) ينظر: جول ، محمد زاهد : النص والتأويل : استراتيجيات القراءة المحدثة . البحث منشور على موقع (التنوع الإسلامي) .

(٤٣) ينظر: نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي ، بحث مقدم إلى مؤتمر " القراءات المعاصرة للقرآن الكريم " جامعة شعيب الدكالي / كلية الآداب / شعبة الدراسات الإسلامية الجديدة/ المغرب ، ٢٠١١.

(٤٤) ينظر : حمادة ، منتصر ، دعوة لقراءات جديدة . والاستفادة من الدراسات الاستشراقية التي كسرت تابو المقدس ، (موقع : القدس العربي – لندن ٢١ديسمبر ٢٠٠٤).

محدودة فيها الكثير من المغالطات ، وقد درسها الباحث في كتابه (الحداثة في الخطاب النقدي عند أدونيس)[1] .

Modernity and Manifestations of Reading Power of Qur'anic Text

Asst. Prof. Dr. Faris. B. Al-Rahawi

(Abstract)

One of the most important things that unifies the Islamic nation and shows it up as one nation since it become a Muslim nation is the modern reading of the Holy Quran. This reading can be realized by the holy power and its influence in pagan mind and the ability to change the religious live and the revolution against pagan tracks and its ritual worship by building a new mental system ruled by the holy power as a high authority.

The establishment of new Islamic mental system depends on activating the perception authority in Islamic mind and its totalitarian life which compatible with the civilization's data in the light of Islamic principles and the humanity of man that refuses killing, destroying and dispersion and estimating others from an Islamic point of view. The new future of Islam and Muslim needs a deformation of (Islamic Knowledge System) reading the holy Quran according to the requirements of the modern time and the Islamic approach of dealing with others.

(٤٥) أصل الكتاب أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة الموصل عام ٢٠٠٦ ، وقد طبعت من قبل (دار الشؤون الثقافية ، وزارة الإعلام ، العراق ، ٢٠١١).